



## عندما تسقط منظومة العدالة !

بقلم : رانف محمد الويشي

6 مايو 2017

# عندما تكون دولة ما هي أول دولة توحدت في التاريخ البشري ( 3200 سنة قبل الميلاد ) ، و بها واحدة من أقدم حضارات التاريخ رقا ، وبها ثلاثة من عجائب الدنيا السبع ، وبها أكثر من ثلثي آثار العالم ، وبها خيرات طبيعية عديدة ، وموقعها وسطي يربط بين بحرين وقارتين مع شمس طوال العام ، ويخرج منها علماء الإسلام إلي أرجاء المعمورة وضمنها البلد الذي خرج منه الإسلام ، ويفطنها شعب مسالم عُرف عنه الابتسامة واليساطة والمسالمة والجدية في العمل والجود في الكرم علي القريب والبعيد ، وتتمتع بقوة ناعمة لا مثيل لها في منطقتها ، وينتشر من أبنائها حول العالم 100 ألف عالم ، منهم 1883 عالم في تخصصات نووية نادرة ، ومنهم 42 رئيس جامعة حول العالم ، ومنهم عشرات الألوف في الغرب من العلماء في التخصصات النادرة في الهندسة والطب والاقتصاد والقانون وغيرها..

عندما يكون كل ذلك وينتهي بها الحال إلي أن تُحكم من قبل عصابة من فئلة الثانوية العامة وفرزها الخامس ، فيهبطون بهذه الدولة إلي الدرك الأسفل ، وتخرج من التاريخ بسبب انتهاكاتهم بحق بلدهم وشعبهم ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يحكم طاغية فاسد وسفيه في دولة ما الناس لعشرات السنين ، يقتل مع حاشيته أبناءهم ويسرق ثرواتهم ، ثم ينتفض الناس عليه فيخلعونه لمحاكمته محاولين تفعيل بعض من منظومة العدالة المفقودة منذ عقود ستة ، فتأتي حاشيته لحمايته وتتخلص من أدلة إدانته ليعود مكرما إلي منزله ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما تُسرق الآثار التي لا تقدر بثمن في دولة ما من قبل جهات سيادية وتُباع في الأسواق الدولية بعشرات ملايين الدولارات للقطعة الواحدة ، ورغم ذلك تصمت كل السلطات في تلك الدولة ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يختار الشعب في دولة ما من يقوده علي أمل أن الديمقراطية لو أخطأت تصحح نفسها بنفسها من خلال الصندوق الحر ، بعد أن تعلموا وأيقنوا علي أرض الواقع أن الدكتاتورية تخطأ وتكرر الخطأ لأنها ترفض التعلم من أخطائها من خلال تزوير الصندوق ، فتأتيها حاشية الطاغية الفاسد السفيه الذي أطاحوا به ، فيخدعون الناس بلحن القول حتي يتمكنوا ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما تقتل الحاشية الناس في دولة ما في الشوارع بالآلاف في مجازر لا مثيل لها في تاريخها ، ويعتقلون مائة ألف دون سند قانوني ، يسومونهم صنوف العذاب ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يعتلي طاغية آخر – أكثر سفها وأقسى طغيانا ممن سبقه – في دولة ما سدة الحكم فيطالب الناس البسطاء الفقراء بدفع جنيه في اليوم لمساعدة الدولة ، وهو من أضاع بلايين الدولارات في حفريات بحرية لا عائد منها - رغم تحذيره ! - بل فقط لتمجيد اسمه ، وأضاع بلايين الدولارات أكثر في أسلحة لا حاجة لها بل فقط ليُشعر بنشوة أنه " شجاع السيماء " ، واختفت بلايين الدولارات أكثر منهما ولا يجرو أي إنسان علي فتح فمه ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يسير طاغية سفيه في دولة ما تتسول طعامها علي سجاد أحمر طوله 4 كيلو متر في سابقة لم تحدث حتي في الدول الأكثر غني ، وعندما يصرف ببذخ في شراء طائرات رئاسية وسيارات مصفحة رغم توافرها بأكثر من الحاجة ، ثم يخرج ويكرر - مفتخرا بسفاهته - في أكثر من مناسبة قائلا لشعبه الذي علي حافة المجاعة : " نحن فقراء قوي " ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يمتلك الضابط في الجيش أو الشرطة في دولة ما حفنة من العساكر امتلاكها يشبه امتلاك السيد للعبيد بغرض السخرة طوال مدة خدمتهم للوطن اعتقادا منه وممن هم علي شاكلته من السفهاء أنهم هم الوطن ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما تُجند الأجهزة الأمنية في دولة ما ربع مليون بلطجي - رغم أنها في الأصل مدججة بالعدد والعدة - لتهديد المعارضين

واختطافهم ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يحاكم الطاغية الفاسد السفيه في دولة ما أمام المحاكم المدنية ، وهو من خرّب البلاد وقتل العباد رغم كونه من العسكر ، فيحصل علي البراءة الهزلية ، بينما يُحاكم شباب أغلي من الذهب في تلك الدولة أمام المحاكم العسكرية رغم كونهم من المدنيين فيحصلون علي الإدانة الحتمية ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يكون الإنجاز الوحيد لطاغية سفيه في دولة ما هو بناء أربعة عشر سجنا في ثلاث سنوات ليحتل المكانة الأسرع عالميا في بناء السجون ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يتم اعتقال الناس بلا تهمة لسنين عديدة في دولة ما ، فيتعرضون للتعذيب وينشر السجناء السفيه الأمراض بينهم عمدا ويقلل الطعام عنهم ويحشرهم كالمواشي في زنازين ضيقة لا تتسع حتي لنومهم ويجعل مراكز اعتقالهم إلي أبعد مكان عن عائلاتهم لإرهاقهم نفسيا وماليا ، عندها تصبح السجون في إسرائيل فنادق من خمسة نجوم مقارنة بالسجون في تلك الدولة ، وعندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما تحكم المحاكم في دولة ما علي مئات من المعتقلين بالإعدام في دقائق – وضمنهم أموات منذ سنين! - في سابقة لا وجود لها في تاريخ الدول ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يقوم رئيس الجهاز الرقابي الأول في دولة ما بفحص بعض قطاعات الدولة - وليس كل القطاعات ! - فيجد فيها ( بعضها قطاعات سيادية ! ) فسادا تراكم في سنتين فقط بقيمة 80 مليار دولار ، وقبل أن يفحص بقية قطاعات الدولة يتم إقصاؤه ومنعه من أداء عمله واعتقاله وتهديده بالسجن لترويعه وترويع من يسلك دربه ومنعه من الظهور الإعلامي حتي لا يعرف الناس الحقائق ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما تري طاغية سفيه في دولة ما يدافع في المحافل الدولية عن طغاة المنطقة الذين قتلوا - كما قتل هو - شعوبهم ولا يذكر أعمالهم الدموية والتي هي من جنس أعماله ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يسيطر الجيش علي كل صغيرة وكبيرة في دولة ما ، ويمتلك آلاف الشركات بأسماء " واجهات " ويقدم مشاريع ومنتجات تُباع بأسعار السوق - رغم أنه معفي من الضرائب ولا يدفع أجورا للجنود ويأخذ الكهرباء وأرض المشروع بالمجان - ولا أحد يعلم أين تذهب تلك الأموال ! عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يضع الجيش في دولة ما يده علي جميع أراضي الدولة ، يغرف أفراده منها ما يحلو لهم - وش الحلة - بأسعار شبه مجانية لعمل مشاريع خاصة لهم ويعرضون علي المواطنين فئات المائدة - الرز المحروق - مما تبقي من أراضي وبأسعار فلكية ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما تتفرغ القوات الأمنية في دولة ما إلي الأمن السياسي لحماية الطاغية السفيه وتترك الأمن الاجتماعي ، فتنتشر المخدرات والزنا وجرائم العنف ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يري الأب الضابط الذي قتل ابنه يسير في الشارع في دولة ما ويزاول جبروته بأقسي مما كان علي الناس لأنه أمن العقاب ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يصبح الجيش في دولة ما هو الدولة وفوق المساءلة والحساب بحجة الأمن القومي ، فلا ميزانية منشورة ولا عمولات للتسليح مكتوبة ولا مرتبات واضحة المعالم ، بينما الجيوش في الدول المتوسطة هي مؤسسة من مؤسسات الدولة تقف للمساءلة عن التفاصيل بدقة أمام البرلمان كباقي المؤسسات ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يهدد طاغية سفيه في دولة ما شعبه بقواته المدججة بالسلاح وتحويل بلده لتكون كالعراق وسوريا واليمن وليبيا إذا قاوموا ظلمه أو خرجوا عليه مطالبين بحريتهم وحفظ كرامتهم ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يرفع طاغية سفيه في دولة ما مرتبات من يناصرون سبع مرات في سنتين ونصف - وهي في الأصل مرتفعة ! - لتصل قيمة

الزيادة إلى مضاعفة المرتب في تلك الفترة القصيرة ، بينما بقية الناس تتلوي جوعا وقهرا ومرضا في صمت ، كي يزرع الحقد والفرقة في النفوس ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يأخذ ضابط مخلة متطوع بإعدادية في دولة ما مكافأة نهاية الخدمة بقيمة 350 ألف جنيها ، بينما يأخذ مدرس الكيمياء الحاصل علي درجة الماجستير مكافأة نهاية الخدمة بقيمة 20 ألف جنيها ، وعندما يأخذ ضابط مخلة بإعدادية برتبة نقيب معاشا يبلغ 13 ألف جنيها وهو من قضاها ضمن " تنابلة السلطان " ، بينما الطبيب ينقذ حياة الآلاف ويتعرض للاعتداء في عمله ممن هم أشد سفاهة من رؤسائهم السفهاء ويأخذ في النهاية معاشا يبلغ 1250 جنيها ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يتقدم أحد أعضاء البرلمان في دولة ما باستجواب لوزير الدفاع ، فيذهب كامل أعضاء البرلمان إلي وزارة الدفاع لمقابلته وليس العكس بغرض حفظ " الهيبة " للفشلة ، أصحاب الـ 50 % والأمراض النفسية ، في حدث لم يحدث في أي دولة حتي من الحجم المتوسط ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يُحكم علي الرئيس الشرعي الذي انتخبه الشعب في دولة ما بالإعدام بسبب قتل أحد الأفراد في مظاهرة أمام قصره ولا يري أسرته طوال فترة حبسه الممتدة لأربع سنوات ، ويتم التتكيل بعائلته ، ويضعوه أثناء المحاكمة في قفص زجاجي حتي لا يسمعه الناس ، ويتم ذلك بمساعدة من النائب العام وهو المفترض فيه أنه محامي الشعب ، بينما يُطلق سراح الطاغية الفاسد السفیه الذي قتل الآلاف بالرصاص بعد أن كان يعيش داخل محبسه بطعام فاخر وحوله أنصاره ومحاموه ويقدم له كوب القهوة أمام الكاميرات وسجانه يؤدي له التحية العسكرية أمام الكاميرات ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يتم تجبير الكنائس في دولة ما لخدمة السياسية ولقت الانتباه بإشغال الناس وترويعهم بحجة البقاء في سدة الحكم لمحاربة الإرهاب المصطنع ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما ينهار التعليم في دولة ما في كل المستويات عمدا للرفع من مكانة دولة " يحيا الجهل " ، وعندما تصبح المستشفيات مراكز لنقل الأمراض بدلا من التخلص منها لإلهاء الشعب في مصائب شخصية ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما تُغلق كليات بعينها في دولة ما بوجه عامة الناس ، وتخصص فقط لأصحاب الشوكة ومن بيده أموال تحت الطاولة ، رغم أنهم أنفسهم دخولها بالمجان عندما كانت درجاتهم لا تتعدي 50 % في الثانوية ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما تكون ضمن المتفوقين الجامعيين في دولة ما وتنتظر إن تحصل علي وظيفة بالجامعة بحكم تفوقك العلمي وطبقا للقوانين الجامعية فيأخذها منك أحد المنتمين للأقوياء رغم حصوله علي درجة مقبول ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يتعاقد طاغية سفیه في دولة ما - في " صفقة سرية " برفض الإعلان عن تفاصيلها ! - علي محطة نووية لتوليد الطاقة بقيمة 25 بليون دولار ( 41 بليون دولار بفوائده ) بينما العالم يفكك تلك المحطات لكوارثها ! وبلده هو نفسه تعتبر ضمن الخمسة الأوائل في إمكانية توليد الطاقة من الشمس والرياح ، وبلده هو نفسه أول من استخدم الطاقة الشمسية بالعالم وتحديدا في عام 1912 بأحد الأحياء الراقية بالعاصمة ، وأحد علماء العالم في الطاقة الشمسية من بلده يعيش في ألمانيا بيكي أمام الإعلام قائلا أن بلده ترفض خبراته رغم أنه يقدمها بالمجان وأمنيته أن يخدم بلده قبل أن يموت في تخصصه ، ورغم ذلك يمضي السفیه في سفهه !  
كأنه لم يسمع عن جار له غير بعيد عنه في المغرب جلب أكبر ثلاث دول في العالم في الطاقة الشمسية ( ألمانيا وفرنسا وإيطاليا ) فأنشؤا بالمغرب محطات طاقة شمسية من أموالهم تسد حاجة المغرب بالمجان نظير مشاركة لهم بنسبة 50 % ، عندئذ نكون أمام صفقة أخرى في تلك الدولة تشبه صفقة الطائرات والحاملات إيها التي لم يكن لها حاجة بل فقط من أجل الاعتراف بنظامه ورز عمولات التسليح ، بينما الشعب علي حافة المجاعة ! عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يتم الاستعانة بأهل الثقة فقط في دولة ما ويتم إبعاد أهل الخبرة ، فترتفع الأسعار لضعف أو ضعفين في فترة قليلة بسبب سوء التخطيط والفساد ، ويتضاعف حجم الدين الخارجي خلال سنتين ونصف ، ويتضاعف حجم الدين الداخلي إلي ثلاثة أضعاف عن نفس الفترة ، وتغلق المصانع ، ويهرب المستثمرون والسياح ، فيجوع الناس قهرا ويموت الأمل في نفوسهم ، وترتفع معدلات الانتحار وأمراض الضغط والسكري والقلب ، ويعصف العنف الأسري والاجتماعي بالشعب ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يصبح البرلمان والقضاء في دولة ما أداة في يد السلطة التنفيذية تحركهم كيف نشاء لطررد المعارضين وجلب المؤيدين ومخالفة الدستور أو حتي تغييره من أجل عيونها كي تستمر في الطغيان والفساد ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما تري طاغية سفيه في دولة ما يحاول التخلص من أرضه لدول أخرى في سابقة لا مثيل لها في التاريخ نظير مصالحه الخاصة وبقائه في الحكم ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يصبح الإعلام في دولة ما تحت إدارة عسكر الترامادول - تمويلا وتوجيها - لغسل أدمغة الناس وخديعتهم كي يسهل ركوبهم للمرة الخامسة خلال أكثر من ستين عاما ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يُهدد كل معارض في دولة ما يحاول أن يدق ناقوس الخطر بأنه إما عميل للخارج أو يدعم الإرهاب بغرض تأسيس جمهورية الصمت والخوف ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما تُفلس دولة ما من خبرائها القانونيين لاعتمادها علي أهل الثقة فتخسر كل القضايا المرفوعة ضدها من الشركات الأجنبية بالخارج وتُطالب بدفع سبعة بلايين دولار في عام واحد كتعويضات ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يزور طاغية سفيه في دولة ما الدول الأجنبية المحترمة فلا يلقي من إعلامها إلا كل ازدراء واحتقار بسبب الدماء التي علي يديه من شعبه ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما تقتصر علاقات طاغية سفيه في دولة ما مع الدول الأخرى علي الاستجداء والتسول حتي أصبح شعبه أضحوكة بين دول المعمورة وشعوبها ، وهو الشعب الذي كان يوجد من خيره علي الآخرين ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

# عندما يرجع طاغية سفيه في دولة ما أسباب فشلة إلي زيادة السكان ، متناسيا أن دول العالم بها أيضا زيادة سكان وربما أسرع مما هو عنده ورغم ذلك تتقدم وتنمو ، عندئذ تسقط في تلك الدولة منظومة العدالة !

لقد شاع بين حكماء الزمان أن العدل أساس الحكم لأن كلمة " العدل " التصقت في الشرائع السماوية بالحكم ، سواء كان هذا الحكم علي مستوي الفصل بين الخصوم في المحاكم أو كان علي مستوي حكم القبيلة أو الدولة ..

- ففي الآية 58 من سورة النساء كان النص القرآني " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلي أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل " ..

- وفي السرة ذكرت الصحاح الستة حديث النبي ( ص ) المعروف لنا - عن أم المؤمنين عائشة - أنه قال : " أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإيم والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " ، و الحديث يتوافق مع آية الإسراء رقم 16 : " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا " ..

لكن المؤلم في تفسير الحديث المذكور هو أن النبي ( ص ) كان يتحدث عن اليهود في قوله " الذين قبلكم " ، ولو قارنا بينهم الآن وكيف يعيشون بالعدل ( خاصة علي كبرائهم قبل ضعفائهم ) وبيننا لأصابك الحزن وربما اليأس بسبب سقوط منظومة العدالة في بلادنا بالمطلق !

رائف محمد الويشي

أمريكا

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته والفيس

www.ahrarmisr.com